

المبحث الأول

الحليّ في العصر الجاهلي وعصر الرسالة المحمدية

من المعروف ان العناية بالمظهر العام طبيعة بشرية لا يمكن اغفالها، والزينة التي منها التزيق واستعمال الحلي المختلفة، كانت ولا تزال تتوقف الى حد بعيد على المستوى العام للمعيشة من جهة وعلى مقدار التقدم الحضاري عند الشعوب والأمم من جهة اخرى. والشعب العربي مثل غيره من شعوب الأرض كان ولا يزال ميالاً هو الآخر على الاخذ بمبدأ الزينة بضروبها المختلفة. ومن الواضح والبديهي بنفس الوقت ان يكون للمرأة العربية من الزينة النصيب الأكبر والأوفى.

لقد كانت شبه جزيرة العرب في العصر الجاهلي بمثابة الوطن الأم لكل العرب غير ان كثيراً منهم بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة نزحوا ليستوطنوا خارج شبه الجزيرة فأسسوا ممالك ودويلات مهمة بلغت درجة عالية من الكمال والرخاء الاقتصادي. ربما من أهم تلك الدويلات مملكة الحضر التي ازدهرت في الجزء الشمالي من بلاد الرافدين قبل الدعوة النبوية الشريفة بزمن بعيد نسبياً. لقد كانت الحدود الطبيعية لتلك المملكة قد امتدت من نهر دجلة شرقاً الى نهر الفرات غرباً ومن جبال سنجار شمالاً الى مشارف مدينة المدائن جنوباً. لقد ظلت مملكة الحضر مزدهرة لما يزيد على خمسة قرون وذلك من حوالي سنة ٣٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٢٤١ ميلادية عندما سقطت بيد الفرس الغزاة. لقد بلغت دولة الحضر اوج عظمتها واتساعها في منتصف القرن الثاني الميلادي وقد تمتعت يومئذٍ بقسط كبير من الاستقلال والرخاء الاقتصادي.

ومن الممالك العربية الاخرى التي تشكلت في شمال الجزيرة العربية مملكة الانباط والتي اعتبرت اول دولة عربية خالصة تقوم في بلاد الشام وفلسطين، رغم ان المؤرخين العرب لم يسيروا الى ملوكها باعتبارهم ملوكاً لدولة نشأت في سورية بل كأمرء لجاليات عربية استوطنت هناك. كذلك مملكة تدمر التي شيدت عاصمتها على أهم الطرق التجارية عصرئذ. فما برحت على اتصال وثيق بأسواق العراق وما يتصل بالعراق من أسواق ايران والهند واقطار الخليج المختلفة، وكذلك كانت على اتصال بأسواق حوض البحر الأبيض المتوسط. مما لا شك فيه والحالة هذه انها كانت على جانب كبير من الرفاه الاقتصادي.

ان من نتيجة الحفائر الاثرية المنظمة في العواصم والمدن الرئيسة لتلك الممالك العربية تم الكشف عن آثار ولقى جليلة الفت ضوءاً ساطعاً وقويماً على جوانب مهمة للحضارة العربية المبكرة جداً. فكان من جملة ذلك ان تم الكشف فيها عن مجاميع كبيرة من الحلبي، كذلك على تماثيل مختلفة الحجم والاشكال لرجال ونساء يحلي ايدي وآذان وصدور الكثير منها- خاصة تماثيل النساء - أنواع مختلفة من ضروب الحلبي.

ونتيجة لدراسة ادوات الزينة التي كشفت عنها الحفائر والتماثيل والرسوم الجدارية نخلص الى القول ان الاهتمام كان كبيراً بتصنيفات الشعر المختلفة عند النساء الحضريات والتدمريات أو النبطيات فاتبعن في ذلك طرقاً مختلفة، منها لوي الشعر وجعله في خصل حلزونية ملتفة متجاورة ومتعددة^(١). إن تصنيف الشعر على تلك الشاكلة يتطلب تمسكاً طويلاً، غير انه يبدو ان تصنيف الشعر على تلك الطريقة كان امراً مرغوباً به الى درجة كبيرة. والغريب في الأمر أن الرجال كانوا أكثر إقبالاً على تصنيف الشعر هذه من النساء، حيث نجدها في غالبية تماثيل الرجال التي وصلتنا من الحضرة بشكل خاص، ومن طرق تصنيف الشعر الأخرى التي اتبعتها نساؤنا العربيات في الحضرة تقسيم شعر الرأس في قسمين متساويين، ثم توزيعه في خصل صغيرة متساوية في الطول يتبع

(١) فزاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضرة، (شكل ٢٢٦).